عبقرية العربية في التعبير عن المحظور اللغوي: دراسة لغوية

د.الرشيد يوسف محمد عباس

المقدمة:

تأثر اللغة بثقافة متحدثيها وبعاداتهم ونظم تقاليدهم وكل ما يتصل بشؤون حياتهم الاجتماعية ظاهرة لا تكاد تخطئها العين، فأي تطور يحدث في حياة أمة من الأمم يتردد صداه في أداة تعبيرها ؛ لذلك تُعَدُّ اللغات أصدق سجل لتاريخ شعوبها. فكلما اتسعتْ حضارةُ الأمة، وارتقى تفكيرها، وتهذبتْ اتجاهاتُها النفسيةُ والثقافية؛ تأثرت لغتُها، وتباينت أساليب القول فيها، وتعددتْ.

فاللغة مرآةٌ تعكس معتقدات متحدثيها وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم، كما أن الأخيرة تصبغ اللغة بصبغة خاصّة في جميع مظاهرها: في الأصوات، والمفردات، والدّلالة، والقواعد، والأساليب، فما يكون عليه الأفراد على سبيل المثال - من حشمةٍ وأدبٍ في معاملاتهم، وعلاقاتهم ينعكس صداه في تعبيرهم.

واللغة العربية أصدق شاهدٍ على ما نقول، فقد عُدَّتْ في مقدّمة اللغات الراقية؛ لما وصلت إليه من تهذيب في ألفاظها، وسموٍّ في أساليبها، ودقةٍ في تراكيبها، ومرونة في التعبير عن حاجاتها، حتى سحرت كثيراً من المفكرين - عرب وعجم- فرأوها أفضل اللغات وأفصحها، وفي ذلك يقول أبو على الفارسي: "لو أحسّت العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة وما فيها من الغموض والرقّة والدّقّة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا عن التقديم لها والتنويه منها".

وأبو الريحان البيروني الذي عاش الثقافتين العربية والفارسية يقول: "والله لأن أُهجى بالعربية أحبُّ إليَّ من أن أُمدح بالفارسية". والمستشرق النمساوي(جوستاف) يعترف بأن للغة العربية خصائص جمة في الأسلوب مما ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في اللغات الأخرى، وكما يقرَّ بأنها أخصر اللغات في إيصال المعاني وفي النقل إليها.

انطلاقًا من هذه الرؤية يتناول هذا البحث ظاهرة المحظور اللغوي في اللغة العربية، محاولاً الكشف عن عبقرية هذه اللغة في كيفية التعبير عنه. وهذه الظاهرة ذات شقين، يكون الأول فيها محظورًا لغويًا بينما يأتي الثاني بديلاً حسنًا له؛ ولذا تهدف الدراسة إلى الكشف عن المفهوم اللغوي والاصطلاحي لشقي الظاهرة (المحظور والمحسن)، ودوافع ذلك، مع بيان عبقرية اللغة في طريقة التعبير عن هذه المحظورات اللغوية، ويتم ذلك في ضوء التأصيل من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما تفضلت به العرب قديمًا وحديثًا.

الكلمات المفتاحية: عبقرية، محظور لغوي، محسن لفظي، دوافع

٠١: مصطلحات الدراسة:

١-١: مفهوم العبقرية:

العبقري والعبقرية منسوبة إلى عبقر وهو موضعٌ تَزْعُمُ العربُ أنه مَوْطنٌ للجنّ، ثم نسَبُوا إليه كلَّ شيءٍ رفيع تَعَجَّبُوا من حِذْقِه أو جَوْدَةِ صَنعَتِه، فأضحت العبقرية صفة لكلِّ ما بولغ في وصفة وما يفوقه شيء، فيقال إنه كاتب عبقري أي يأتي بعمل فيه كمال وإبداع[1]. فعبقرية اللغة يُقصد بها في هذه الدراسة: التفوق العقلي، والنبوغ الظاهر والنباهة الجلية في قدرة الفرد أو الجماعة العربية على الاتيان بكلمات وعبارات لطيفة تسد مسد أخرى محظورة لغويًا لأسباب وضعها مجتمع اللغة، أو تواضع عليها في بعض المواقف التي يحتاج الإنسان فيها إلى حسن التصرف قولاً وفعلاً.

١-٢: مفهوم الدافع:

الدافعية هي الحالة التي تثير السلوك في ظروف معينة تحفزه حتى ينتهى إلى غاية معينة، وتم تصنيف الدوافع حسب علم النفس إلى دوافع فسيولوجية ودوافع نفسية اجتماعية، فالدوافع الإجتماعية - وهي التي تهمنا في هذه الدراسة- تتولد عند الفرد نتيجة النشأة داخل مجتمعه، ونتيجة التأثر بالمجتمع والرغبة في التأثير

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

فيه والتفاعل معه، والحرص لتكوين جماعات، وأن يصبح الفرد جزءًا من المجموعة ويندمج فيها؛ لكي لا يصبح وحيدًا شاذًا منبوذًا. فالدافع عبارة عن إشباع لحاجات نفسية واجتماعية يفرضها المجتمع، وينمو لدى الفرد الشعور باشباعها.٢فسلوك الفرد اللغوي داخل هذه الجماعة يمثل اشباعًا لتلك الحاجات في إطار إرضاء الجماعة اللغوية وثقافتها التي ينتمي إليها.

١-٣: مفهوم المحظور والمحسن في اللغة:

المحظور كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي حظر، فقد جاء في مقاييس ابن فارس أن الحظر هو المنع٣، وذكر صاحب اللسان أن الحظر خلاف الإباحة، والمَحْظُورُ: المُحَرَّمُ، من قولهم حَظَرَ الشيءَ يَحْظُرُه حَظْراً أي منعه، وكلُّ ما حال بينك وبين شيء، فقد حَظَرَهُ عليك٤، وفي القاموس المحيط حَظَرَ الشيءَ عليه، أي مَنَعهُ، وَحجَرَه، واتَّخَذَ حَظِيرَةً، وذكر صاحب المختار الصحاح أن الحَظْرُ: الحَجْرُ، وهو خلاف الإباحة، والمحظور المحرَّم، وفي التنزيل العزيز: "وما كان عَطاءُ رَبّكَ مَحْظُوراً"الإسراء:٢٠، فكلمة (محظورا) أي منقوصًا، أو ممنوعًا عند جماعة من المفسرين منهم الطبري٥.

وقد انتقل مفهوم الحظر إلى عدة مجالات في حياتنا المعاصرة، منها: الحظر الاقتصادي، والحظر الرياضي، والحظر الصحي، والحظر السياسي، والحظر الثقافي، والحظر القانوني٦، ولكن أقرب دائرة معرفية إلى مفهوم الحظر في المستوى الاصطلاحي هي الدائرة اللغوية.

فالمفهوم الاصطلاحي الذي ارتضاه البحث هو الحظر اللغوي الذي ينحصر في الكلمات والعبارات التي يكره المجتمع العربي التلفظ بها كراهة تصل بها إلى درجة المنع؛ فتجود عبقرية أفراده بألفاظ أخرى بديلة، يطلق عليها المحَسَّن اللفظي، أو الكلام المتلطَّف.

والتلطف في اللغة على حد قول ابن فارس: (اللام والطاء والفاء)، أصل يدل على رفقٍ، فالتَّلَطُّف من مادةِ (لطف) التي تكون بمعنى رفق٧، فالتلطف هو الترفقُ، وجاء في لسان العرب، لَطف به وله، بالفتح، يَلْطُف لُطْفًا إذا رَفَقَ به، كقولك: لَطف فلان يَلْطُف لُطْفًا، إذا رَفَق، ويقال: لَطَف اللّه لك أي أَوْصَل إليك ما تُحب برفْق، والتلَطُّف للأَمر: الترفُّق له، واللَّطِيفُ من الكلام: ما غَمُض معناه وخَفِي٨، وفي التهذيب للأزهريّ، اللطيف: الذي يُوصِل إليك أَرَبك في رفق، وفي أساس البلاغة للزمخشريّ: "ومن المجاز "تلطفتُ بفلان"، أي احتلتُ له حتى اطّلعتُ على أسراره٩ "، أما التَّلطّف من قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ الكهف الآية:١٩، فتعني، وليترفّق في الحصول على ما يريد١٠. فالتَّلطُّف في اللغة هو الترفق، الذي قد تصحبه الحيلة والفطنة والذكاء، وهو ما يناسب هذا المقام خاصة وقد أراد الباحث أن يتناوله نقيضًا للمحظور من الكلام في ثقافة أهل اللغة العربية.

نال المحظور اللغوي والمحسن اللفظي اهتمام العلماء العرب قديمًا وحديثًا، فتلك الألفاظ التي يتم تجنبها في سياقات معينة، واستبادلها بألفاظ أخرى تناولوها بالدراسة تحت عدة مصطلحات منها: الكنايات اللطيفة، والتعريض، وتحسين اللفظ، وتلطيف المعنى، يقول المبرد:"ويكون من الكناية وذاك أحسنها الرغبة عن اللفظ المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال الله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لكم ليلةَ الصّيام الرَّفَثُ إلى نِسَائكم﴾ البقرة: ١٨٧. فاستخدم كلمة (الرفث) في إشارة إلى ما يتمّ بين الرجل وزوجه.

وقد عقد الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) لها فصلاً أسماه، فصل في الكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه، ومن أمثلته التى ذكرها، قوله تعالى: ﴿...أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾، فكنى عن الحدث بالغائط، وقوله تعالى: ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ..﴾ النساء:٤٣، وقوله تعالى:﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ البقرة:٢٢٣،، إذ عبرت الآيتان عن المعاشرة الزوجية- التي من شأنها أن تتم في السر والخفاء- بالملامسة وبالحرث، وهذا نوع من الأدب رفيع وثيق الصلة بالمعاشرة الزوجية١١.

وممن أفرد هذه الظاهرة بالتأليف القاضى أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني (ت٤٨٢هـ)، في كتاب سماه: (المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء) ذكر من فوائده، التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة وإبدال ما يفحش ذكره في الأسماع بما لا تنبو عنه الطباع١٢، مستشهداً على ذلك بقوله تعالى:﴿وإذَا مرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾١٣، وكذلك استخدمه ابن فارس(ت٣٩٥ه) في كتابه الصاحبي في معرض حديثه عن الكناية، قائلاً: "إنه يُكنَّى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسينًا له"١٤.

أما القرآن الكريم والحديث الشريف

فقد كان لهما قصب السبق في هذا المجال، فجاءت بعض الآيات والأحاديث زاخرة بهذا الأدب، خاصة فيما يرتبط بالأمور التي تخدش الحياء في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾فصلت:٢١، فذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المقصود بالجلود العورة والفروج، كما عبر عن الجماع بالاستمتاع في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾،النساء: ٢٥، وسماه الرسول الكريم بالعسيلة في حديثه: " حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ"١٥.

ويُعَدُّ أسلوبُ التلطف الوجهَ المشرق لظاهرة المحظورات اللغوية، حيث يرى بعض المعاصرين من علماء اللغة، أنَّ استبدال المحظورات اللغوية بكلمات لطيفة خالية من أيِّ مغزى سيء أو مخيف يُعَدُّ ضرباً من ضروب التَّلَطُّف، أو حسن التعبير أو تحسين اللفظ١٦، فالدكتور كريم زكي حسام الدين وهو من اللغويين المعاصرين يطلق عليه مصطلح (تحسين اللفظ)، ويسميه أحمد مختار عمر (التلطف)، ويطلق عليه محمد علي الخولي (لطف التعبير).

٢: أسباب المحظور اللغوي والمحسن اللفظي ودوافعهما:

هناك عدة أسباب تجعل لفظًا معينًا من المحظور اللغوي في العربية، بينما تجود عبقرية متحدثيها بلفظ آخر يكون بديلاً حسنًا له، ومرد هذا الأمر إلى ثقافة متحدثي اللغة العربية؛ وذلك لأنَّ اللغة تتأثر بثقافة الأمة وتقاليدها وعاداتها ومعتقداتها، كما أنها تشكل جزءًا من الوعي للجماعة اللغوية، فثقافة الأمة تؤدي دورًا مهمًا في صياغة ذلك المحظور اللغوي وإيجاد البديل اللفظي المقبول لدى الجماعة اللغوية١٧، ومن الأسباب التي تواضع عليها الباحثون في هذا المجال ما هو ديني، ونفسي، واجتماعي، وسياسي، وتتدرج تحت كل سبب منها مجموعة من الدوافع، وقد تتداخل هذه الأسباب جميعها؛ ذلك لأنّها مرتبطة ببعضها ارتباطًا وثيقًا، يجعل كلا منها قد يكون سببًا في الآخر.

٢-١: الأسباب الدينية:

أمر الله في قرآنه الكريم عباده عند مخاطبة الآخرين بالقول المعروف، والقول السديد، والقول الميسور، والقول الحسن، والقول الكريم، والقول اللين. فقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ النساء:٨، و﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ الإسراء:٢٨، و﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة:٨٣، وعند مخاطبة الوالدين: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء:٢٣، وغيرها من الآيات التي تحض على المخاطبة بالألفاظ الحسنة فهو القائل: ﴿ وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ ق:١٨، وقد بين سبحانه وتعالى للناس أن هناك ما لا يرضاه من القول، حين قال: ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ... ﴾ النساء:١٠٨. كما دعا عباده إلى ترك لفظ واستعمال آخر بديلاً له، في قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾البقرة: ١٠٤.

نظير ما ذُكر في القرآن الكريم أُثر عن النبي (ﷺ) حثه على ترك ألفاظ واستعمال ألفاظ أخرى بديلة لها، وذلك مثل قوله: "لا تقولوا للعنب الكرم، ولكن قولوا: الحبلة، ولا تقولوا عبدي، ولكن قولوا: فتاي"١٨، و قوله: " لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي"، لقست وخبثت بمعنى واحد، وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم، وتعليمهم الأدب في الألفاظ، واستعمال حسنها، وهجران خبيثها١٩، وما أشبه ذلك .

وتكون القداسة والخشية والخوف من الله من أهم الدوافع في هذا المجال، فإذا تلفظ المسلم بكلمة مشينة من وجهة نظر القرآن أو السنة، فنراه يبادر إلى طلب العفو والمغفرة من الله سبحانه وتعالى.

٢-٢: الأسباب النفسية:

إذا كان علم اللغة يوجه اهتمامه إلى رسالة المتكلم إلى المتلقي؛ فإنَّ العمليات العقلية التي تسبق إنتاج الرسالة أو تعقبها تقع خارج نطاقه، وهي بالطبع بعض ما يهتم به علم النفس عند تناول اللغة. فالبعض يرى أن وظيفة اللغة هي التعبير عن الفكر، وفي هذه الحالة يمكن اعتبار اللغة جزءًا من علم النفس، وهو علم مرتبط بسلوك الإنسان.

والمحظور اللغوي من الظواهر اللغوية المرتبطة بالإنسان في كل المجتمعات واللغات، وفي جميع مراحل تطوره، منذ الحقبة البدائية وحتى عصر الانفجار المعرفي، ويمكن استجلاء الأسباب النفسية للمحظور اللغوي والمحسن اللفظي في اللغة العربية من خلال الدوافع الآتية:

- الخوف:

عندما يفزع المرء من أمر ما يهرب من التصريح باللفظ المباشر الدال عليه؛ فيصبح هذا اللفظ محظورًا لغويًا وحيئذ تقوده عبقرية اللغة إلى التعبير

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

عنه بلفظ محسن، وهذا ما تكشف عنه كثرة الألفاظ والعبارات الدالة على الخوف من المرض والموت والقتل. حيث يظل الخوف من المرض، أو من الشعور به أمرًا يلازم الناس باختلاف ثقافاتهم، فالعربي رغم شجاعتة، يتحاشى العبارات الدالة على المرض مباشرة، فالحمى يدعوها(المبروكة)، و(بنت الدهر)، كما قال المتنبيء:

أبنت الدهر عندي كل بنت

كيف وصلت أنت من الزحام

ومرض السرطان وهو مرض سوداوي يبتدىء مثل اللوزة وأصغر٢٠، يستعاض عن لفظه بعبارة مرض العصر، والمرض الخبيث، وعن الجنون وهو في اللغة يعني الستر ونفصان العقل٢١، يعبرون عنه بالأمراض العصبية والعقلية، والأمراض النفسية.

أما الموت فكان مجالاً من المجالات التي تجلت فيها عبقرية العربية في إيجاد ألفاظ وعبارات كثيرة ومتعددة، مثل قولهم: ضحى ظله، وصار ظلّه شمسًا، وإذا صار الظل شمسًا بطل صاحبه، ومضى لسبيله، واستأثر الله به، وانتقل إلى جوار ربه، ووافته المنية، وجاءه الأجل المحتوم، اختاره الله، ولحق بالرفيق الأعلى، وقضى نحبه، النَّحْبُ والنَّحِيبُ: رَفْعُ الصَّوتِ بالبكاءِ والنَّحْبُ: النَّذْرُ٢٢، فكأن الموت نذر متحتم على الأعناق، وقال أحد الأعراب داعيًا على رجل: " رماه الله على دينه" أي أماته؛ لأنَّ الموت دين على كل واحد٢٣، ولحق باللطيف الخبير، قال أبوالعلاء المعري:

ولا تسل عن عداك أين استقلوا

لحق القوم باللطيف الخبير

وهادم اللذات، كما جاء في الحديث: " أكثروا من ذكر هادم اللذات" أي الموت، وقال أبو العتاهية:

فيا هادم اللذات ما منك مهرب

تحاذر منك نفسي ما يصيبها

ولعق فلان أصبعه، واستوفى أكله، وأصفرت أنامله، قال لبيد:

وكلّ أناس سوف تدخل بيتهم

دويهية يصفر منها الأنامل

و(شالت نعامته) كما قال الشاعر العربي الذي كان يتمنى الموت لأمه غير مهتم بمصيرها، وسواء عنده أذهبت إلى الجنة أو إلى النار:

يا ليتما أمنا شالت نعامتها

أيما إلى جنة أيما إلى نار٢٤

والقتل من العبارات الصادمة، التي عبر عنها القرآن بعبارة (قضى عليه) في قوله تعالى:﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ القصص:١٥؛ كما جادت عليها عبقرية العربية بعدة ألفاظ محسنة يفهمها اللبيب وتفوت غيره، منها: الأغر الأشقر، فيقولون لمن يقدم على ارتكاب جريمة القتل: فلان ركب الأغر الأشقر، فلما كان الأغر الأشقر صفة للدم أقاموها مقام الاسم، فاستغنوا عن ذكره بصفته التي يعرف بها، ومنها، ذاق حر المرهفات، وأروى عنه غلة السيف، وفلان محمول على الأدهم، وركب فلان ردعه، وأصله في السهم يرمي به فيرتدع نصله فيه، فقولهم: ركب ردعه، أي دخل عنقه في جوفه، وقال الجاحظ:

ومسوم للموت يركب ردعه

بين القواضب والقنا الخطار

فثوى صريعًا والرماح تنوشه

إن السراة قصيرة الأعمار٢٥

-التشاؤم والتفاؤل:

جاء في الموسوعة الحرة أن التشاؤم هو سلوك عقلي يتوقع نتيجةً غير مرغوب فيها لموقف معين، أما التفاؤل فهو عبارة عن ميل أو نزوع نحو النظر إلى الجانب الأفضل للأحداث أو الأحوال، وتوقع أفضل النتائج٢٦، فقد تناول القرآن الكريم موضوع التشاؤم في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ إِنَّا تَطَيَّرنَا بِكُم﴾ يس: ١٨، ﴿قَالُواْ اطَّيَّرنَا بِكَ وَبِمَن مَعَك﴾ النمل:٤٧.

ويؤثر كلٌّ من التشاؤم والتفاؤل في تشكيل سلوك الفرد، وعلاقاته الاجتماعية ، وتوجيه عاداته اللغوية، فينزع أفراد المجتمع المتشائم عن عبارة ما باعتبارها محظورًا لغويًا، ويميلون إلى أخرى بديلا عنها باعتبارها محسنًا لفظيًا، امتثالا لقول الرسول الكريم: "لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة٢٧".

ويبين الجرجاني أثر التشاؤم والتفاؤل في الحظر اللغوي والبديل الحسن في كلامه عن "ترك اللفظ المتطير من ذكره إلى ما هو ألطف منه كقولهم للفلاة مفازة؛ لأن القفار في ركوبها الهلاك"٢٨. ومما ينضوي في هذا المضمار ما اعتادت عليه العرب من مناداة الأعمى بألفاظ مثل:(البصير، والمحجوب، والمكفوف)، وذلك تفاؤلاً، أو تحاشيًا لذكر ما قد يجرح مشاعره،، ومن ذلك لما أراد المتوكلُ أبا العيناء على منادمته، قال له: يا أمير المؤمنين، أنا محجوب، والمحجوب يجوز قصده ويقبل على من لا يُقبل عليه، كلٌّ من في مجلسك يخدم، وأنا أحتاج أن أُخدَمَ فيه. ويستعاض عن البرص (بياض يقع في الجسد)٢٩بالوضح،فكانوا ينادون جذيمة

الأبرش(أول ملوك الحيرة) بـ(الوضاح) لبرص به،٣٠ واللديغ، من اللدغ وهو عض الحية والعقرب، يقال له: ٣١سليمًا تفائلا بسلامته، كما قال الشاعر:

فلو أنني كنتُ السليمَ لعدتني

سريعًا ولم تحبسك عني الكوادس

ومن المحسنات اللفظيفة الحديثة إطلاق عبارة أصحاب الهمم على المعاقين٣٢ جسديًا، ولفظ مشروبات روحية على الخمر ؛ وذلك يكون بدافع التفاؤل ورفع الحرج.

٢-٣: الأسباب السياسية:

اللغة هي وسيلة الاتصال الأولى بين السلطة الحاكمة والرعية؛ لما يتوافر فيها من عوامل الإدراك المشترك سريعة الفهم والتأثير والإقناع، وما تقوم به اللغة من أثر واضح في توجيه حياة الرعية نحو أهداف السلطة، أو توجيه سلوك الحاكم نحو خدمة أغراض الرعية، بما تتضمنه من دلالات وأفكار وأدوات تأثير، ومن ثم يستخدمها كل من الطرفين لتحقيق أغراضه٣٣.

فيلجأ كل من السلطة السياسية وأفراد المجتمع في البحث عن ألفاظ ودلالات تكون موضعًا للرضى والقبول للآخر، وهذا ما يعرف بالتلطف اللغوي، بديلاً عن الخطاب الخشن الذي يعرف بالمحظور اللغوي، ويكون من دوافع ذلك: التأدب من قبل الرعية، والتأثير من قبل السلطة.

-التأدبُ:

يشير السعران إلى أن لغة التأدب الأغلب فيها أنها وسيلة لتوثيق صلات الناس بعضهم ببعض، ولقتل حدة التنازع والتصارع بينهم، فهي مظهر من مظاهر التمدن والتجمل، وهي شارة الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتكلم والمخاطب، وقد تكون من أسباب المراءات والمداهنة والملق٣٤، خاصة في بعض أمور الناس السياسية. حيث يمثل نطق بعض الكلمات نوعًا من اللَّبس الذي يجعل الكلمة قد تعني أكثر من معنى مما يوقع المتكلم في حرج قد يفسر بالخروج عن حدود الأدب، وخاصة إذا كان المخاطب بهذه الكلمات ممن يجب التأدب في حضرته، ومن ذلك ما أورده ابنُ قَيِّم الجوزية في كتابه الطرق الحُكميّة، عن تصرف الفضل بن الربيع وزير هارون الرشيد، حين رأى الرشيد في داره حُزمَةَ خَيْزُران، فقال لوزيره الفضل: ما هذه؟ فردَّ الفضل قائلاً: "عروق الرماح يا أمير المؤمنين". وتجنب أن يقول: (خَيْزُران) لموافقة ذلك اسم أم الرشيد٣٥.

ومنه أيضًا تصرف الربيع مع الخليفة المنصور حين كانا معًا في حديقة، فأشار المنصور إلى شجرة من أشجارها تُعرَف بشجرة الخلاف، قائلاً للربيع ما هذه؟ فأجابه الربيعُ في سرعة بديهة وحسن تصرف: "شجرة الوفاق"، فكره أن يذكر كلمة (الخلاف) في وجه الخليفة، فتفائل المنصور بذلك٣٦.

وفي موقف آخر رواه إبراهيم المهدي (أخو هارون الرشيد)، قائلاً: "كنتُ عند الرشيد حيث أُهديت إليه أطباق ومعها رقعة، فلما قرأها استفزه الطرب، فقلت يا أمير المؤمنين ما الذي أطربك؟ فقال: هذه هدية من عبدالملك بن صالح الهاشم، ثم نبذ إليَّ الرقعة، فإذا فيها بعد البسملة:" دخلت يا أمير المؤمنين بستانًا عمّرته بنعمتك، وقد أينعت أثماره، وفاكهته، فأخذت من كلٍّ وصيرته في أطباق(القضبان) ووجهته لأمير المؤمنين؛ ليصل إليَّ من بركة دعائه ما وصل إليَّ من بره ونعمائه..." قلت،(القول للمهدي): يا أمير المؤمنين وما في هذه يقتضي السرور؟ قال: ألا ترى ظرفه كيف، قال:(أطباق القضبان) فكنى عن الخيزران، إذ كان يجري به اسم أمنا"٣٧.

وكذلك فعل الحسن بن السهل مع الخليفة المأمون حين كانت بيده حُزمة مِسواياك، فقال للحسن ما هذه؟ فقال الحسنُ: ضدُّ مَحاسنك يا أميرَ المؤمنين!" ولم يقل: "مساويك"، ومنها قصة القاضي شريح عندما زار الخليفة زياد بن عبدالملك وهو في مرضه، فلما خرج منه سألوه: كيف تركتَ الأمير؟ فأجاب تركتُه يأمر بالوصية وينهى عن البكاء، وكره أن يقول تركته (يحتضر)٣٨ فالتأدب في اللغة باب واسع يضم أطيافًا من الأساليب التعبيرية، كمخاطبة المفرد بصيغة الجمع، والتوسل للمخاطب بعبارات استعطافية رقيقة كالألقاب الوظيفية والكنى.

-التأثير:

مما يزيد على التلاعب بالعقول والتأثير فيها هو التحايل على المصطلح، أو تلطيف العبارة؛ حتى يتلطف وقع الحدث على أذن المخاطبين فلا يثير حفيظتهم إذا وصف الحدث بلطف لا كما هو، ومن ذلك كلمة (الهدف)، فبدلا من القول:إن الصواريخ أصابت منازل مدنية وقتلت مدنيين، فلجأ السياسيون إلى تلطيف العبارة بقولهم: إن الصواريخ أصابت

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

أهدافها، كأنما الأهداف هي قتل المدنيين العزل٣٩. وكذلك كلمة (أضرار) في قولهم: (إن الصواريخ ألحقت أضرارًا في الأرواح والممتلكات)، بدلا من عبارة (قتل الأرواح) وهذا يخفف من حدة الخبر وإثارة الشجون٤٠. وأيضًا تركوا مصطلح (تعمُّد قتلِ الأبرياء)، والإبادةِ الشَّاملة لشعبٍ ما (Genocide) في الحروب مستخدمين بديلها: التطهير العرقي (Ethnic cleansing) "٤١، واستبدلوا عبارة (المجاعة) بمحسن لفظي أطلقوا عليه (فجوة غذائية)، ومرض الاسهال المعروف عالميًا بالكوليرا(Cholera) أطلقوا عليه عبارة (اسهالات مائية)، لتتجنب دولهم طائلة الحظر العالمي، والهزيمة في الحرب بـ(انسحاب تكتيكي)، وقتل الحليف في حالة الحروب بـ(نيران صديقة)، والفساد والاختلاس من مال الدولة يسمونه (تجاوزات مالية)، كما يكنون عن الملاكمة (الرياضة النبيلة).

ومن الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية وتعد بديلا لكلمات محظورة لغويًا في ثقافة اللغة العربية: كلمة (بروليتاريا)، من اللاتينية Proletarius، مصطلح سياسي يطلق على طبقة العمال التي لا تملك وسائل الإنتاج، وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري، وكلمة (أوتوغراطية) من الإنجليزية Autocracy، مصطلح يطلق على الحكومات الدكتاتورية، وهي تعني باللاتينية (الحكم الإلهي) ٤٢.

٢-٤: الأسباب الاجتماعية:

وهي ما تعارفت عليه الجماعة من عادات وتقاليد وقيم اجتماعية ودينية، فتشكل هذه القيم وتلك العادات دافعًا قويًا نحو تجنب الجماعة استخدام لفظ معين وتفضيل آخر يكون بديلاً عنه، وذكر أبو زلال أن فرنديس أشار إلى دور الأسباب الاجتماعية في تغيير الكلمات مراعاة للباقة؛ إذ ليس من اللائق أن يتلفظ شخص في مجتمع ما بألفاظ عُرفت بالفظاظة، أو بأنها مما يخدش الحياء، ويستبعد الألفاظ التي يستعملها المهذبون من أفراد ذلك المجتمع٤٣.

ويمكن الكشف عن الأسباب الاجتماعية للمحظور اللغوي والمحسن اللفظي في المجتمعات العربية من خلال الدوافع الآتية:

-الحياء والاحتشامُ:

الحياء خُلُق رفيع يساعد على التمنع عن كلّ فعل قبيح والتقصير في حقّ الآخرين، وقيل:هو خلق يبعث على اجتناب القبيح من الأفعال والأقوال، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، فقد كان رسول الله (ﷺ) أشد حياء من العذراء في خِدرها.

فالشعور بالحياء من الدوافع التي تمنع المتكلم - في المجتمع العربي- من التلفظ ببعض الألفاظ التي تخدش الحياء، خاصة المرتبطة بالمرأة، وأعضاء الجسد، والأمور الجنسية بطريقة مباشرة، الأمر الذي يضطره في كثير من الحالات إلى التفكير في عبارات تمتاز بالرقة واللطف ليكون وقعها مريحًا لمن يخاطبه.

-المرأة:

فمن عادات المجتمع العربي وتقاليده المحافظة على المرأة حتى على المستوى اللغوي، فيتحاشى ذكر اسمها، ويستعين بألفاظ بديلة تعد من المحسن اللفظي، فقد ذكر الثعابي أن العرب تكني عن المرأة بالقارورة، الجارة، العتبة، النعجة، الشاة القلوص، والسرحة، وبالظُّلَّة (أول سحابة) ٤٤.

ومن الشواهد على هذه الكنايات: ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف، وما تفضل به علماء العربية قديمًا وحديثًا فقد جاء في القرآن حكاية عن في قصة داود (عليه السلام): ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ ص:٢٣،، ذكر القرطبي٤٥ في تفسيره له تسع وتسعون امرأة، ومنها ما جاء في شعر ابن عون:

أنا أبوهن ثلاث هنه رابعة في البيت صغراهنه

ونعجتي خمسًا توفيهنه ألا فتى سمح يغذيهنه

أما عنترة بن شداد فقد عرّض عن اسم جارته بلفظ الشاة بدلا من التصريح، في قوله:

ياشاةُ ما قنص من حلّت له

حُرمت عليّ وليتها لم تحرم

وعبارة القلوص وهي (الفَتِيَّة من الإبل٤٦) استخدمها أحد الجنود الذين ذهبوا للغزو في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، فأرسل كتابًا إلى الخليفة يوصيه فيه بنسائه في غيبته، ولكنه تحرّج أن يذكر ذلك صراحة، ففهم سيدنا عمر ما أراده الرجل، من قوله:

قلائصنا – هداك الله – إنا

شُغلنا عنكم زمن الحصار

والكناية عن المرأة بالسرحة استخدمها حميد بن ثور في قوله:

أَبى اللهُ إلاَّ أَنَّ سَرْحَةَ مالك

على كلّ أَفْنانِ العِضاهِ، تَرُوقُ

فقال الثعالبي: إنّه كني بها امرأة مالك أحسن كناية وعبر عن إيفائها في الحسن في أحسن عبارة٤٧. وذلك لأنَّ السرحة حسب ما ذكر صاحب اللسان من السرح، والسَّرْحُ كل شجر لا شوك فيه، والواحدة سَرْحة؛ وقيل : السَّرْحُ هو شجر كبار عظام طِوالٌ لا يُرْعَى وإنما يستظل فيه٤٨، فالشجر الذي لا يرعى يكون محتفظًا بجماله وخضرته ونضارته، ويجوز القول: وبعفته، في هذا الموقف.

ومن ذكر الحرث بديلا للمرأة من بعد قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، المبرد حين كنى بها عن زوجته في عجز البيت التالي:

إذا أكل الجراد حروث قوم

فحرثي همه أكل الجراد٤٩

ومما يتصل بالتعبير عن المرأة أيضًا بألفاظ غير صريحة ما جاء على لسان سيدنا إبراهيم حين زار ابنه إسماعيل (عليهما السلام)، فلم يجده، بل وجد زوجته، وقيل: لم تحسن استقباله، فانصرف ولم يمكث طويلاً، وعند انصرافه قال لها: قولي لابني إن أباك يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تغير عتبتك، فلما رجع سيدنا إسماعيل، وبلغته الرسالة، طلقها في الساعة امتثالاً لأمر أبيه، لأنه فهم من عبارة (غيّر عتبتك)، أي استبدال زوجتك بأخرى.

واستخدم الأعشى كلمة (الجارة) بديلا لاسم زوجته عندما أراد تطليقها، قائلا لها:

أيا جارتا بيني، فإنك طالقهْ

كذلك أمورُ النّاسِ غاد وطارقهْ

وعبقرية العربية تنادي المرأة بالمها، والبقر، ذكر الثعالبي٥٠ " أنَّ كسرى بن هرمز عندما همّ بالزواج من نساء العرب، أرسل رجلا ومعه زيد بن عدي إلى النعمان بن المنذر في الحيرة؛ فلما دخلا على النعمان قالا له: إن كسرى أراد لنفسه، نساءً من العرب، فأراد كرامتك، وهذه هي الصفات التي يشترطها في الزوجات، فرد عليهما النعمان: "أما للملك غنية بمها فارس وبقر العراق ما يبلغ به حاجته عن هؤلاء الأعرابيات". فكلمة (بقر العراق) قصد بها حسناوات العراق، لكن كسرى فهم أو أُفهم أنها تعني البقر الحقيقي، مما اعتبرها إساءة له.

ويطلق على المرأة إن كانت زوجة (أم المثوى)، كما جاء في حديث رجل عندما سئل: متى عهدك بالنساء؟ قال البارحة، قيل له: بمن؟ قال: بأم مثواي"، وآخرون ينسبونها إلى اسم أبيها، ومن ذلك ما رواه صاحب الأغاني عن هارون الرشيد مع زوجته زبيده حين سبقته في تقديم الهدية إلى أحد المغنين، فقال الخليفة الرشيد: "غلبتنا بنت أبي الفضل، وسبقتنا إلى كرم ضيفنا "٥١، ومن العرب من لم يجروء على ذكر اسم زوجته لا صراحة ولا كناية، ومن ذلك ما فعله الشاعر مالك بن الريب التميمي، الذي كتب قصيدة طويلة يرثي فيها نفسَه قائلاً في بعض أبياتها٥٢:

أقلب طرفي حول رحلي فلا أرى

به من عيون المؤنسات مراعيا

وبالرّمل مني نسوة لو شهدنني

بكين وفدّين الطبيب المداويا

فمنهن أمّي وابنتاها وخالتي

وباكية أخرى تهيج البوا كيا

فجاء بلفظ (باكية أخرى) بديلا لاسم زوجته؛ وحياء من ذكره صراحة حتى في لحظة احتضاره.

وأشار الثعالبي أيضًا إلى أنَّ مِنْ بلغاء عصره مَنْ تعبر عن الأم بالحرّة والبرة، وعن الأخت بالشقيقة، وعن الزوجة بكبيرة البيت، وعن الحُرُم بما وراء الستر، وعن الزفاف بتآلف الشمل، واتصال الحبل، وعن البنت بالريحانة والكريمة، والوديعة، فقد ورد أنَّ خمارويه بن طولون والى مصر عندما نقل ابنته المسماة (قطر الندى) إلى زوجها المعتضد،كتب إليه يذكره حرمة سلفها بسلفه، ويصف ما يرد عليها من أبهة الخلافة، وروعة السلطان، ووحشة الغربة، ويسأله إيناسها وبسطها وتقريبها، فطلب المعتضد من كاتبه جعفر بن محمد أن يردَّ عليه، فكتب جعفر كتابًا جاء فيه" وأما الوديعة -أعزك الله- فهي بمنزلة من انتقل من شمالك إلى يمينك"، فلما عرضه على المعتضد ارتضاه جدًا، وقال له كنايتك عنها بالوديعة نصف البلاغة٥٣.

ظلت هذه العادات الاجتماعية مستمرة إلى يومنا هذا، إذ إنه من المحظور التلفظ باسمها، بل يطلق عليها لفظ الأولاد وإن لم يكن لزوجها أولاد منها أصلاً، وبلفظ الأهل، وأم الأولاد، وأحيانًا كثيرة بأم فلان أو أم فلانه، أي (باسم مولودها البكر)، ذكرًا أم أنثى، وعبارة: ربات الخدور، والجنس اللطيف، لجماعة النساء.

- أعضاء الجسد:

إنّ الإشارة إلى بعض أعضاء الجسد مباشرة، أو التصريح بها تعد من الأسباب الباعثة للحياء والحرج، ويدخل ذلك في دائرة المحظور اللغوي عند الجماعة العربية، لذا تلجأ إلى استخدام ألفاظ أخرى تكون أكثر رقة ولطفًا، ومن ذلك

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ما ذُكر انَّ ابنة أعرابي صرخت صرخة عظيمة، فقال لها أبوها: مالك ؟ قالت: لدغني عقرب . قال لها أين ؟ قالت: في الموضع الذي لا يضع فيه الراقى أنفه. وكانت اللدغة في إحدى سوأتيها، فتنزهت بذكرها عن لفظها٥٤.

وفي حديث الرسول (ﷺ): إذا التقى الختانان فوجب الغسل" ويقصد بذلك عضوي الرجل والمرأة. وكذلك أطلقت العرب على مقدمة كل شيء (القُبل) ومؤخرة كلّ شيء (الدبر) كما جاء في قوله تعالى حكاية عن قصة سيدنا يوسف مع امرأة العزيز:﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ× وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يوسف٢٦و٢٧، ومنه استخدم لفظ (القبل) على أعضاء الإنسان الأمامية، و(الدبر) على الخلفية، كما عبرت عنها بالسوءة، مثلما ورد في القرآن عن قصة سيدنا آدم وأمنا حواء: ﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ طه: ١٢١.

ويطلق عليهما الجحران، ورد ذلك في حديث السيدة عائشة: إذا حاضت المرأة حرُم الجحران، أي اجتمع في الحرمة القبل والدبر. والعرب تقول لقبل المرأة (مطلب الأنف)، وذلك لأن الجنين إذا تمت أيامه في الرحم، وأراد الخروج طلب بأنفه الموضع الذي يخرج منه، قال الشاعر: من كان لا يغضب لمطلب أنفه:::: من أمه أو عرسه لم يغضب.

ومنها ما قاله الحجاج لأم عبدالرحمن بن محمد: "عمدت إلى مال الله فوضعتيه تحت ذيلك"، والذيل آخر كل شيء، وذيل المرأة يقال لكل شيء تلبسه إذا جرته على الأرض من خلفها٥٥، كأنه كره أن يقول: تحت استك. وهذا مما عُيِّب به عبدالله بن الزبير لما قال لامرأة عبدالله بن حازم: "أخرجي المال الذي تحت استك"، فقالت له: "ما ظننت أنّ أحدًا يلي شيئًا من أمور المسلمين فيتكلّم بهذا"٥٦.

- الأمور الجنسية:

ذكر دكتور كريم أنّ الألفاظ التي تشير إلى الأمور الجنسية من أكبر المجالات الدلالية للمحظورات اللغوية في كل المجتمعات اللغوية، كما تصدق هذه الملاحظة على كتاب الثعالبي الكناية والتعريض، وكتاب المنتخب للجرجاني، حيث تشكل الألفاظ والتعبيرات المحسنة التي تشير إلى الأمور الجنسية قسطًا كبيرًا من الكتابين٥٧، كما تفضل القرآن الكريم والسنة النبوية بذكر قسط وافر من المحسنات اللفظية التي تدل على هذه الألفاظ، ومنها:

العلاقة الشرعية:

من المحسنات اللفظية التي استخدمها القرآن الكريم للعلاقة الشرعية بين الزوجين: الرفث، واللباس، كما في قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُم ليلةَ الصِّيام الرفثُ إلى نِسائِكُم هُنَّ لِبَاسٌ لَكم وأنْتُم لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾، والملامسة، في قوله تعالى: ﴿أو لامستم النساء ﴾، والمباشرة، في قوله تعالى: ﴿ولا تُباشروهنَّ وأنتم عاكفون في المساجد﴾، والاستمتاع، كما في قوله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهنَّ أجورهُنَّ فريضة﴾، والإفضاء في قوله تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾

أما الحديث الشريف فقد أشار إليها بعبارة: إسبال الستر، مثلما قال الرسول (ﷺ): " أيما رجل أغلق بابه على امرأته وأرخى دونها أستاره فقد تم صداقها"، فكنى بإسبال الستر عن الفعل، والعسيلة: فقد جاء في حديث السيد عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ إِلَى النبي الكريم فَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ فَطَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلاقِي. فَتَزَوَّجْتُ بَعْدَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيْرِ وَإِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) وَقَالَ: "أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ"٥٨. فوصف الرسول الكريم المعاشرة الزوجية بالعسيلة، وكشف القناع، كما في حديثه (ﷺ): "من كشف قناع امرأة وجب لها المهر"، وكذلك عبرت السيدة عائشة عن القبلة بإصابة الرأس، فقالت:" كان الرسول يصيب من الرأس وهو صائم". ومن التعبيرات الشائعة: تأليف الشمل، واتصال الحبل، وبنى فلان على أهله، وفض الخاتم، ليلة الزفاف، وشهر العسل، وليلة الدخلة.

- العلاقة غير الشرعية:

وهي ما يتم بين رجل وامرأة، كعلاقة الزنى، فقد جادت عبقرية العربية للتعبير عنها بعبارات مختلفة خشية خدش الحياء وجلب الحرج، ومن تعبيرات المحسن اللفظي التي تقال عن الزانية: لاترد يد لامس، وبائعة الهوى، وبنات الليل، ويطلقون على المرأة الفاسدة (رقيقة الحافر)، حكى عن عاصم بن شبيب أنه قال: كايد يحيى بن زياد مطيع بن إياس، فحلف يحيى أثناء كلامه بالطلاق، فقال له مطيع:

لا تحلفنَّ بطلاقٍ مَنْ

أمست حوافرها رقيقةً

ففضب يحيى وحلف ألاّ يكلم مطيعًا، فتهاجرا زمنًا ثم تصالحا٥٩. ولا يفوتنا أن نذكر أن القرآن عبر عن الزني بالبهتان: في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ..﴾ الممتحنة:١٢، وإن كان البهتان في أصل اللغة هو الافتراء والكذب٦٠، والمعنى المقصود في هذه الآية حسب ما ذكر الطبري: "ولا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم٦١"، وإلحاق الولد بأب غير أبيه يتم بالزني كما هو معلوم.

ومن الألفاظ المحسنة لولد الزنى: الفرخ، فقد ذكر الجرجاني في المنتحب أن أهل المدينة يكنون عن اللقيط الذي لا نسب له بالفرخ، والشاهد على ذلك قصة جعفر بن يحيى مع الرشيد عندما وُضِعت على مائدة طعامهما ثلاثة فراخ، فقال الرشيد لجعفر مازحًا: قاسمني بهذ الأفرخ، فرد جعفر قائلاً: قسمة جور، أم قسمة عدل؟ فقال الرشيد: قسمة عدل، فأخذ جعفر فرخين، وترك للرشيد واحدًا، فقال له الرشيد: أو هذا العدل؟! قال: نعم، معي فرخان، ومعك فرخان، فسأله الرشيد، وأين الفرخ الثاني؟ فقال هذا، وأومأ بيده إلى الفضل بن الربيع وكان واقفًا على رأسه، حيث كان لا يُعرَف للربيع أب.

وينادى بالفقعة:

والفقعة هي نوع من الشجر لا عرق لها ولا أغصان، فقد عبر عن ذلك الشاعر قائلاً:

قوم إذا نسبوا يكون أبوهم
عند المناسب فقعة في قرقر

ومن المحسنات اللطيفة في استخدامنا المعاصر لولد الزنى، بـ (فاقد الأبوين).

- الحرج:

تعود بعض الكلمات المحظورة إلى أمور تتعلق بصفات قد يتحرج منها أفراد المجتمع، مثل: الفقر، البخل، والبله، أو عادات سيئة نحو: الكذب، النميمة، السرقة، والرشوة، أو امتهان بعض الحرف الوضيعة، كالحجامة والحلاقة. فعبقرية المجتمع العربي تعدل عنها بألفاظ أخرى محسنة؛ لتخفيف الحرج الذي قد يصيب صاحبها، كما ذكر الثعالبي:

الفقر:

كانت العرب تطلق على الفقير عبارات لا تكشف عن حاله بصورة مباشرة مراعاة لشعوره، مثل مناداتهم بـ(السؤال)؛ لأنهم كانوا من شدة حاجتهم يسألون الناس، وعندما قدم منهم جماعة إلى خالد بن برمك يستميحونه، قال أنا والله استقبح لهم هذا الاسم، وفيهم الأشراف والأجواد، ولكنما نسميهم (الزوار)، وقارىء سورة يوسف؛ لأنَّ المحتاجين كانوا يقرأونها في الأسواق، وفلان لبس شعار الصالحين، أي (افتقر)، وفلان رقت حاشية حاله، وداره قليلة الجرذان، وقفت عجوز على قيس بن سعد فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، وقصدتْ بذلك خلو بيتها من الطعام؛ لأنَّ الجرذان لا توجد إلا في مكان فيه طعام، فقال: ما أحسن هذه الكناية، لأكثرن جرذانك، وداره تحاكي فؤادَ أم موسى٦٢، أي فارغة من الطعام؛ وذلك تأسيًا بقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ القصص:١٠، أي فارغًا من كل شيء سوى ذكر ابنها موسى٦٣.

البخل:

عبر عنه القرآن الكريم بالشح، وباليد المغلولة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ.﴾ الإسراء:،٢٩، ولجأت عبقرية العربية إلى التخفيف من وقع هذه الصفة ببعض الكلمات التي نقل لنا الثعالبي والجرجاني٦٤ طائفة منها، كقولهم: فلان مقتصد، ونظيف الخوان، والخوان(بضم الخاء وكسرها) الذي يؤكل عليه٦٥، وفلان أخرس الكلب، ونظيف المطبخ، كما قال الشاعر:

بيضُ المطابخ لا تشكو إماؤهم
طَبخَ القدور ولا غسلَ المناديل

الجهل،

يقول الجرجاني إنَّهم يكنون عن الجاهل بقولهم:صافي العيش، وحلو الحياة، ومن المستريحين.

السرقة،

أما السارق فتطلق عليم بعض العبارات مثل: طويل اليد، وخفيف اليد، وخفة اليد في الحالات الطبيعية عبارة تطلق على من اتصف بمهارة سرعة الانجاز، كما يسمونه بأحذّ يد القميص، أي قصّ كمه، لأنَّ السارق يقص كُمَّ قميصه ويخففه ليكون أقدر على عمله، ومن ذلك قول الفرزدق في عمر بن أبي هبيرة:

أوليتَ العراق وساكنيه
فزاريًا أحذَّ يد القميص

الرشوة،

فيطلقون عليها صب الزيت في القنديل، ومن الألفاظ الحديثة، تسهيلات، وهدية، وإكرامية.

أما الصنعة الوضيعة، فتعد بابًا

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

من الأبواب التي طرقتها عبقرية العربية في استحداث عبارات ومفردات تجنب ممارس الصنعة من الحرج، وقد تكون العبارات البديلة مدعاة للفخر والاعتزاز بالمهنة، والشاهد على ذلك ما حكاه الجرجاني من مواقف منها٦٦: لما تولى الحجاج شؤون العراق، أمر أحد جنوده بحراسة المدينة ليلاً، فمن وجده بعد العشاء يضرب عنقه، فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان فأحاط بهم وسألهم: من أنتم، حتى خالفتم أوامر الحجاج؟ فرد عليه الأول قائلاً:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره
وإن نزلت يومًا فسوف تعود
ترى الناس أفواجًا إلى ضوء ناره
فمنهم قيام حولها وقعود

وأجاب الثاني قائلاً:

أنا ابن الذي دانت الرقاب له
ما بين مخزومها وهاشمها
تأتي إليه الرقاب صاغرة
يأخذ من مالها ومن دمها

ولما جاء دور الثالث، قال:

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه
وقوّمها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه عنهما
إذا الخيل في يوم الكريهة ولّت

فتأخر عن قتلهم جميعًا؛ لأنَّه ظن أن أولهم من أشراف العرب، وثانيهم من أقارب الأمير، وثالثهم من شجعان العرب، فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج، فأحضرهم، وكشف عن حالهم، فإذا بالأول ابن فوّال، والثاني ابن حجام، والثالث ابن حائك. فتعجب الحجاج من فصاحتهم، وقال لجلسائه: علّموا أولادكم الأدب، فلولا فصاحتهم لضربت أعناقهم.

وقد ورد أن خاطبةً دخلت إلى قوم تخطب إليهم، فقالوا: ما صناعته؟ فقالت: يكتب بقلم حديد، ويختم بالزجاج؛ فعلموا أنّه حجّام، ومنها حكاية أصحاب القبرين اللذين وجدا مكتوبًا على أحدهما: أنا ابن سفاك دم الملوك، والآخر ابن مستخدم الرياح، فلما سأل عنهما، فكان أحدهما ابن حجّام، والآخر ابن حدّاد.

وحديثًا أصبح يطلق على مهنة الحجامة والكي عبارات مثل: العلاج الشعبي، الطب التكميلي، الطب النبوي، والطب البديل تحسينًا لها.

الخاتمة:

كان هذا البحث محاولة لتلمس مسألة المحظور اللغوي في ثقافة اللغة العربية؛ وللكشف عما تجود به عبقرية هذه اللغة من محسن لفظي يكون بديلا لتلك المحظورات، وذلك في ضوء أسبابه ودوافعه، وكانت نتيجة ذلك أن:

توصل البحث إلى تعدد أسباب المحظور اللغوي ما بين أسباب دينية، اجتماعية، سياسية، ونفسية، وهي أسباب مترابطة مع بعضها بعضًا.

كشف البحث عن تعدد دوافع المحظورات اللغوية ما بين الخوف والحرج، التشاؤم والتفاؤل، القداسة والخشية، والتأثير والتأدب.

بين البحث أن الإنسان مجبول أو مجبور على النأي بنفسه عما يبعث فيه الخوف والحياء أو ما يمس معتقداته؛ لذا يحاول بعبقريته أن يبدل ما هو محظور في ثقافته إلى ما هو مقبول.

كان للقرآن الكريم والحديث الشريف القدح المعلى في تقديم أساليب التخاطب الراقية التي تراعي شعور المجتمع على اختلاف مكوناته ذكورًا وإناثًا وكبارًا وصغارًا، في كل الظروف.

كشف البحث أن المحظور اللغوي ومحسنه اللفظي لا يمكن فهمه إلا في سياقه ومواقفه؛ لأن هذه التعبيرات تكون ورائها دوافع متعددة الأسباب.

كشف البحث عن عبارات وألفاظ جديدة من المحظور اللغوي ومحسنها اللفظي لم تكشف عنها الدراسات من قبل، وذلك وفق معطيات هذه العصر ومتطلباته.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الهوامش:

١ – انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة عبقر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، المعجم الوسيط، مادة عبقر.

٢ – انظر المصدر، https://www.thaqfya.com/types-motivation-psychology/ معلومة ثقافية.

٣ – انظر ابن فارس: مقاييس اللغة، طبعة دار الحديث،٢٠٠٨م، القاهرة، ص٢١٧.

٤ – انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة حظر.

٥ – انظر الطبري، تفسير الطبري جامع البيان في تأويل أي القرآن ط١،١٤١٥ه، ١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، نسخة إلكترونية. الآية ٢٠ من سورة الإسراء.

٦ – انظر جبار، زهرة طاهر" المحظور اللغوي في معجم جمهرة اللغة لابن دريد" بحث منشور في مجلة جسور المعرفة، المجلد٤، العدد ٤(١٦)، ديسمبر ٢٠١٨م، ربيع الأول/ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ، ص:١١٧.

٧ – انظر ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، كتاب اللام، ص٨٣٤.

٨ – انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة لطف،

٩ – الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ط١، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية،بيروت.، مادة لطف، ص ٤٠٩.

١٠ – انظر عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الكتب المصرية، مادة لطف.

١١ – انظر أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، شرح وتقديم دكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٤٣٨.

١٢– انظر لجرجاني، أبو العباس أحمد، المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ،١٩٠٦م، مطبعة السعادة، مصر، ص٣.

١٣ – من الآية ٧٢ سورة الفرقان.

١٤ – انظر حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية: دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ،،١٩٩٨، دار النهضة العربية،ص،١٨

١٥ – صحيح البخاري، كتاب الشهادات، بَاب شَهَادَةِ الْمُخْتَبِي، الحديث رقم ٢٤٥٨، نسخة إلكترونية.

١٦ (http://www.startimes.com/?t=٢٦٢٥٥٠١٤

١٧ – انظر أبوزلال، عصام الدين عبدالسلام، "التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن: دراسة دلالية" رسالة دكتوراه، القاهرة،١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص، ٦٥.

١٨ – انظر صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، نسخة إلكترونية، الحديث ٤٢٩٢، الموقع: http://www.hadithportal.com/index.php?show=hadith&h___id=٤٢٩٢&uid=٠&sharh=١٠٠٠٠&book=٣١&bab___id=١٠١٥

١٩ – المرجع نفسه.

٢٠ انظر، القاموس المحيط، نسخة إلكترونية، مادة سرط.

٢١ انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة جنن.

٢٢ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نحب).

٢٣ انظر الجرجاني، المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، مرجع سابق، ص:٥١.

٢٤ المرجع نفسه،ص:٥٠

٢٥ – انظر الثعابي، الكناية والتعريض، مرجع سابق، ص:٤٨.

٢٦ – انظر، موقع الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%AA%D٨%B٤%A٧%D٨%A٤%D٩%٨٥

٢٧ – صححه ابن ماجه في صحيحه، من موقع جامع السنة وشروحها، http://hadithportal.com/chap٣٦___bab١٤٦٩&book=٨

٢٨ – انظر، الجرجاني، المنتخب من كنيات الأدباء وإشارات البلغاء، مرجع سابق، ص:٥.

٢٩ – انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (برص).

٣٠ – الموسوعة الحرة،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D%AC%D%AB%D8%9A%D%A5%9D%AA9___%D%AA%vD%A4%9D%AA%3D%AA%AD%AB%1D%AB4

٣١ – انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة لدغ.

٣٢ – الإعاقة هي ضرر يصيب أحد الأشخاص وينتج عنه اعتلال بأحد الأعضاء كليًّا أو جزئيًّا.

٣٣ – انظر، عكاشة، محمود، لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ط١، ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م، دارالنشر للجامعات، مصر، ص:٥.

٣٤ – انظر السعران، محمود، اللغة والمجتمع: رأي ومنهج،ط٢،١٩٦٣م الإسكندرية، ص:٢١.

٣٥ – انظر حسام الدين، كريم زكي، مرجع سابق، ص: ٦٨.

٣٦ – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٣٧ – انظر الجومرد، عبدالجبار، هارون الرشيد: حقائق عن عهده وخلافته،ط٤م، ٢٠١٣م، شركة المطبوعات، بيروت، لبنان، ص:٢٣٤.

٣٨ – انظر حسام الدين، المحظورات اللغوية، مرجع سابق،ص ٧١و٧٢.

٣٩ – انظر يونس، رامي عزمي، تحليل لغة الخبر السياسي في الخطاب الإعلامي المكتوب، ط١،١٤٣٣هـ،٢٠١٢م، دار المعتز للنشروالتوزيع،عمان، الأردن، ص:١٦١.

٤٠ – المرجع نفسه،ص:١٦٢.

٤١ . انظر محمد أنيس سريمي، التلطف في التعبير بين الأدب والتملق،

http://www.alukah.net/culture/٥٧٢١٨/٠/)

٤٢ – انظر الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki.

٤٣ – انظر أبو زلال، عصام الدين عبدالسلام، مرجع سابق، ص: ٦٩.

٤٤ – انظر الثعالبي، أبو منصور، الكتابة والتعريض، ص ١٣

٤٥ – انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي، ومحمد رضوان عرقسوسي، مطبعة الرسالة، نسخة إلكترونية.

٤٦ – انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة قلص.

٤٧ – انظر الجرجانيمرجع سابق، ص:١٥٣.

٤٨ – انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرح).

٤٩ – انظر الجرجاني، مرجع سابق، ص:٧.

٥٠ – انظر، الثعابي، أبو منصور، الكناية والتعريض، مرجع سابق، ص: ٥

٥١ – الجومرد، عبدالجبار، مرجع سابق، ص:٢٥١.

٥٢ – انظر الطنطاوي، على، رجال من التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، دار المنارة، جدة، ص: ١٠٧

٥٣ –انظر، الثعابي، أبومنصور،، الكناية والتعريض، ص:٦.

٥٤ – انظر الجرجاني، مرجع سابق،ص:١٠.

٥٥ – انظر ابن منظور، لسان العرب لابن منظور: مادة ذيل.

٥٦ – حسام الدين، كريم زكي، مرجع سابق،نقله من كتاب الكناية والتعريض للثعالبي، في ص:٥٥.

٥٧ المرجع نفسه، ص ١٠٢.

٥٨ – صحيح البخاري، كتاب الشهادات، مرجع سابق.

٥٩ – انظر الجرجاني، مرجع سابق،ص:١٢

٦٠ – انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (بهت).

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٦١ – انظر الطبري، جامع البيان، نسخة إلكترونية.

٦٢ – انظر الثعالبي، الكناية والتعريض، مرجع سابق،ص: ٤٢-٣٤.

٦٣ – تفسير الطبري، نسخة إلكترونية.

٦٤ – انظر، الثعالبي، مرجع سابق،ص:٣٦، والجرجاني، مرجع سابق،ص: ١١٥.

٦٥ انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة خون.

٦٦ – انظر الجرجاني، مرجع سابق،ص:٥٦و٥٧.

المراجع:

- ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد،ط٥، ١٤٠١ه،١٩٨١م.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، طبعة دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ابن منظور، لسان العرب، مادة عبقر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، المعجم الوسيط.
- أبو زلال، عصام الدين عبدالسلام، "التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن: دراسة دلالية" رسالة دكتوراه، القاهرة،١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م،
- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، شرح وتقديم دكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٣م.
- أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني، المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، الطبعة الأولى،١٩٠٨م، نسخة إلكترونية.
- الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ط١، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية،بيروت.
- جبار، زهرة طاهر" المحظور اللغوي في معجم جمهرة اللغة لابن دريد" بحث منشور في مجلة جسور المعرفة، المجلد٤، العدد٤،(١٦)، ديسمبر ٢٠١٨م، ربيع الأول/ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ.
- الجرجاني، أبو العباس أحمد، المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ،١٩٠٦م، مطبعة السعادة
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي، ومحمد رضوان عرقسوسي، مطبعة الرسالة، نسخة إلكترونية.
- حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية: دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ،،١٩٩٨، دار النهضة العربية
- السعران، محمود، اللغة والمجتمع: رأي ومنهج،ط١٩٦٣،٢م الإسكندرية.
- الطبري، تفسير الطبري جامع البيان في تأويل أي القرآن ط١، ١٤١٥ه، ١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، نسخة إلكترونية.
- صحيح البخاري، كتاب الشهادات، نسخة إلكترونية.
- الطنطاوي، على، رجال من التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، دار المنارة، جدة.
- عبد الجبار الجرمود، هارون الرشيد: حقائق عن عهده وخلافته، ط٤، شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت، ٢٠١٣م.
- عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الكتب المصرية.
- عكاشة، محمود، لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ط١، ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م، دارالنشر للجامعات، مصر.

مواقع إلكترونية:

- علي عبدالعزيز الراجحي، التلطف في الأساليب العربية، بحث منشور على الموقع:
- http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=٤٥d٧٨c٩d٤e٢٠١٣/١١/١٩م ٩٤٨٢٢١ زيارة الموقع
- محمد أنيس سريمي، التلطف في التعبير بين الأدب والتملق،

http://www.alukah.net/culture/٥٧٢١٨/٠/

- موقع الموسوعة الحرة،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨AA%D٨B%٤D٨A%٧D٨A%٤D٨٥%٩

- ابن ماجه في صحيحه، من موقع جامع السنة وشروحها، http://hadithportal.com/chap٣٦___bab١٤٦٩&book=٨

- صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، نسخة إلكترونية، الموقع:

-http://www.hadithportal.com/index.php?show=hadith&h___id=٤٢٩٢&uid=٠&sharh=١٠٠٠٠&book=٢١&bab___id=١٠١٥

- http://www.startimes.com/?t=٢٦٢٥٥٠١٤

- المصدر، https://www.thaqfya.com/types-motivation-psychology/ معلومة ثقافية

- http://adel-ebooks.sheekh٣-arb.info/showthread.php?t=٢٣١

- محمد الثبيتي، ظاهرة التَّلَطف في الأساليب العربية، بحث منشور على الموقع:

http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=٤٠٢٤٧

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2